(١)

البرُّ بالأوطَانِ مِن شمائلِ الإيمَانِ

الحمد لله رب العالمينَ ، القائلِ في كتابه الكريم : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه ، وَعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَن تَبِعَهُمْ بِإحسانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعـــد :

فإن حبَّ الأوطان والحفاظ عليها فطرة إنسانية أكدها الشرع الحنيف وجعلها من شمائل الإيمان ودلائله ، فهذا نبينا (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يقول مخاطبًا مكة المكرمة: (والله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله ، وَأَحَبُّ أَرْضِ الله إلى الله ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ؛ ما خَرَجْتُ) ، ولما هاجر (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى المدينة واتخذها وطنًا له ولأصحابه الكرام لم ينس (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وطنه الذي نشأ فيه ، ولا وطنه الذي استقر فيه ، وقد قال : (اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ ، اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا ، وَصَحِّحْهَا لَنَا ، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ) ، فدعاء النبيِّ (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لنفسه ولأصحابه بحب المدينة ، والدعاء بإصلاح هوائها ، والمباركة في مدّها وصاعها، يعلمنا كيف يكون حبُّ الإنسان لوطنه ، وبره به .

وعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ الله عَنْهُ) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ المَدِينَةِ ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا) ، وعندما عدد الحافظ الذهبيُّ طائفةً من محبوبات النبيِّ (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال : (وكان يحبُّ عائشةَ ، ويحبُّ أَبَاهَا ، ويحبُّ أسامةَ ، ويحب سبطَيْه ، ويحب الحلواء والعسل ، ويحب جبل أُحُدٍ ، ويحب وطنه ، ...) ، وقال عبد الملك بن قُرَيْبٍ الأصمعي : سمعتُ أعرابيًّا يقول : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ الرَّجُلَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ تَحَنُّنُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَتَشَوُّقُهُ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَبُكَاؤُهُ عَلَى مَا قَضَى مِنْ زَمَانِهِ .

والمتأمل في جوهر الرسالات السماوية ، يجد أن جميعَها دعت إلى حبِّ الأوطان والدفاع عنها ، وجعلت ذلك فريضةً دينيةً ، ولم يكن النبيّ (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِدْعًا من الرسل في حبه لوطنه ، فهذا سيدنا إبراهيم (عليه السلام) يدعو لوطنه قائلا: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} ، وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) حينما قضى الأجل الذي كان بينه وبين الرجل الصالح في مدين توجه تلقاء مصر من شدة شوقه ومحبته لوطنه الذي ولد فيه وتربى على أرضه.

ومما لا شك فيه أنه لا يوجد إنسان عاقلٌ ولا وطنيٌّ شريفٌ ولا مؤمنٌ صادقٌ إلاّ وهو على استعداد لأن يفتدي وطنه بنفسه وماله ، فإن حفظ الوطن من الكليات الست التي أقرتها الشريعة الإسلامية ودعت إليها ، وهو واجب الوقت الذي ينبغي أن يقوم به كل إنسان ، كلٌ في مجاله وميدانه ، ولا سيما في زماننا هذا ؛ حيثُ تتعرض أوطاننا للاستهدافِ ومحاولات الهدم ، والعبث بأمنها واستقرارها ، من قِبل جماعات متطرفة حاولت أن تُهوِّن من شأن الوطن وأن تضع الناس في تقابلية خاطئة بين الدين والوطن ، مع أن الدين لابد له من وطن يحمله ويحميه ، وقد قرر الفقهاء أن العدو إذا دخل بلدًا من بلاد المسلمين كان الدفاعُ عنه فرض عينٍ على أهله جميعا، ولو فنوا عن آخرهم في سبيل الدفاع عنه ، ولو لم يكن الدفاع عن الأوطان من صميم مقاصد الأديان لكان لهم أن ينجوا بأنفسهم ودينهم ، وهو ما لم يقل به أحد من أهل العلم ، فحماية الأوطان والحفاظ عليها والبر بها والعمل على رقيها وتقدمها من صميم مقاصد الأديان ، لأن الدفاع عن الوطن هو دفاع عن العرض والأرض والكرامة والدين والوطن جميعا .

ولقد ضرب لنا النبي (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أروع الأمثلة في حماية الوطن ، والدفاع عنه ، والحفاظ على أمنه واستقراره ، سواء من خلال تصرفاته الفردية (صَلَّىَ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، أم من خلال قراراته ومعاهداته كقائد للأمة ، أم من خلال تربيته لأصحابه على قيمة حب الوطن والدفاع عنه ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ قِبَلَ الصَّوْتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) – قَدْ سَبَقَ النَّاسَ إِلَى الصَّوْتِ – وَهُوَ يَقُولُ : (لَنْ تُرَاعُوا ، لَنْ تُرَاعُوا ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ ، فِي عُنُقِهِ سَيْفٌ ، فَقَالَ : لَقَدْ وَجَدْتُهُ بَحْرًا ، أَوْ : إِنَّهُ لَبَحْرٌ) ، ولقد كانت وثيقة المدينة التي أبرمها النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع جميع الطوائف التي تسكن بها من أول قراراته (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حينما قدم إلى المدينة ، وكان الهدف منها الدفاع عن المدينة وحمايتها والحفاظ على أمنها واستقرارها ، وربَّى النبيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أصحابه على أن التضحية بالنفس والمال دفاعًا عن الأوطان وحرماتها ومقدساتها من صميم الجهاد في سبيل الله ؛ ولا أدل على ذلك من أن الله (عز وجل) قد أعلى من شأن من بذلوا أرواحهم دفاعًا عن دينهم وأوطانهم ، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}، ولله در أمير الشعراء شوقي وهو يجسد حقيقة البر بالأوطان فيقول :

بِـــلادٌ ماتَ فِتيَتُهـــا لِتَحيـــا ... وَزالوا دونَ قَومِهِـــمُ لِيَبــقَــوا
وَقَفتُـــمْ بَيــنَ مَــوتٍ أَو حَيــاةٍ ... فَإِن رُمتُمْ نَعيمَ الدَهرِ فَاشْقَــوا
وَلِلأَوطــانِ فــي دَمِ كُــلِّ حُرٍّ ... يَـدٌ سَلَفَــت وَدَيــنٌ مُستَحِــقٌّ
وَمَن يَسقــى وَيَشــرَبُ بِالمَنـايا ... إِذا الأَحرارُ لَم يُسقــوا وَيَسـقوا
وَلا يَبــني المَمالِكَ كَالضَحايـا ... وَلا يُدني الحُقــوقَ وَلا يُحِــقُّ

فَفي القَتلـى لِأَجيـالٍ حَيـاةٌ وَفي الأَسرى فِدًى لَهُمُ وَعِتقُ
وَلِلحُرِّيَّـــةِ الحَمـــراءِ بـابٌ بِكُـلِّ يَـدٍ مُضَـرَّجَـــةٍ يُـدَقُّ

ومن صور البر بالأوطان : **الاتحاد وعدم شق الصف** ، والحرص على المصلحة العامة، وتقديمها على المصلحة الخاصة ، فواجبنا جميعًا تجاه وطننا ووجوب برنا به يقتضي توحيد الجهود ، ونبذ الخلافات ، فنحن أمام قضية تهدد وجودنا ، فيجب علينا تجاوز أي خلاف ، فليس أمامنا سبيل سوى أن نكون على قلب رجل واحد ، امتثالًا لقول الله تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا}، وقوله جلَّ شأنُه : {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} ، وقوله تعالى : {وَأَنّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتّبِعُوهُ وَلا تَتّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصّاكُمْ بِهِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ}، ويقول نبينا (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ).

إن وحدة الأمة واعتصامها بدينها ، والحفاظ على ثقافتها وهويتها ، هو سرّ بقائها ، ودعامة قوتها ، والسبيل إلى نهضتها ، ولقد ضرب النبي (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مثلا للأمة في تماسكها وتآزرها فقال: (مثل المُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى) ، وعندما أراد أحد الشيوخ أن يعلم أبناءه أهمية الوحدة وأنها سبب القوة ، وخطورة الفرقة وأنها سبب الشتات والضياع ، جاء بحزمة من الحطب وقال : من يستطيع منكم أن يكسر هذه الحزمة بضربة واحدة أو بضربتين ، فحاول كل واحد منهم فلم يفلح ، ففك حزمة الحطب ووزعها على أبنائه ، وأعطى كل واحد منهم عودًا فكسره بضربة واحدة ، فقال :

تَأْبَىَ الرِّماحُ إذَا اجْتَمَعْنَ تكسُّرًا وَإِذَا افْتَــرَقْنَ تَكَـسّرتْ آحَادَا

إنَّ أمة ربها واحد ، ودينها واحد ، ونبيها واحد ، وكتابها واحد ، وقبلتها واحدة ، ولغتها واحدة ، ينبغي أن تكون يدًا واحدة ، قال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}، وقال النبي (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (يَدُ اللَّهِ مَعَ الجَمَاعَةِ) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

إخوة الإسلام :

إن من صور البر بالأوطان **حمايتها من الدعوات المشبوهة والهدامة** ويكون ذلك ببناء جسور الثقة بين أبنائها ، وعدم الانصياع للشائعات ووأدها في مهدها ، وحسن الظن بالناس ، بحيث لا نترك بيننا فرصة لخائنٍ ، أو عميلٍ ، أو مأجورٍ على حساب الوطن ، فالجميع تحت لواء واحد هو لواء الوطن الذي تنضوي تحته وفي ظله كل الألوية الأخرى ، أما أن تحمل كل مؤسسة أو جماعة أو جهة لواء موازيًا للواء الدولة فهذا خطر داهم لا يستقيم معه لا أمر الدين ولا أمر الدولة ؛ لذا يقول نبينا (صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً ، فَقُتِلَ ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا ، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا ، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ) .

وكذلك من صور البر بالأوطان : **العمل على إعمارها ورفعتها وتقدمها** بالجد والاجتهاد ، على أننا نؤكد أن ذلك لن يتحقق إلا بتقديم يد العون المخلصة ، وتقديم الكفاءات والمتخصصين في كل المجالات ، كل بما يحسن ويتقن ، وأن

ندرك جميعا حجم المخاطر التي تحاصرنا من كل جهة ، وأن نعمل بكل ما أوتينا من قوة على مواصلة مسيرة البناء والتعمير ، ولنعلم أنه حيث تكون المصلحة ، ويكون البناء والتعمير والعمل والإنتاج ، وسعادة الناس وتحقيق أمنهم واستقرارهم ، فثمة شرع الله ، وهذا هُو الدينُ الحق ، وكل ما يدعو للفساد والإفساد ، والتخريب والقتل، والدمار ، فثمة عمل الشيطان وجماعات الفتنة والدمار والخراب ، فديننا فن صناعة الحياة لا صناعة الموت ، وديننا دين البناء والتعمير لا الإفساد ولا التخريب.

وعلينا أن ندرك أن أعداءنا لا يكلّون ولا يملّون من تدبير المؤامرات ، ومحاولة الإيقاع بنا في شرك الفتن والتفرق والعصبية المذمومة ، وهم يراهنون على تغييب الوعي ، ويلبسون الحق بالباطل ، ولكن هيهات ، فنحن بوعينا ووحدتنا وإبصارنا الحق ، قادرون بحول الله وقوته أن نحمي أنفسنا ومواطنينا ووطننا من كل ذلك ، فنحن نبغي الحق والحق أحق أن يتبع ، ونحن نريد الصلاح والطيب الذي ينفع البلاد والعباد ، والله عز وجل يقول :{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} .

اللهُمّ وحد صفوفنا ، وألف بين قلوبنا ، واحفظ مصرَ وأهلها من كلّ مكروه وسوء.